مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 13 / العـدد: 02 (السنة2025)، ص: 142-154

أزمـة الواقــع بين تناقض التأويلات والحقيقة المفترضة
جان بودريـار – أنموذجـا-

The crisis between the contradiction of interpretations and the supposed truth of Jean Baudrillard's paradigm.

حيدش سعد،
جامعة الجزائر- 2-
hidech81@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/03/26 تاريخ القبول: 2025/05/06 تاريخ النشر: 20225/09/01

ملخص
ساهم الفيلسوف الفرنسي جان بودريار، بطرحه الجدير بالذكر، حول نمو وسائل الاتصال وتطور مضامينها الثقافية بالوسط الاجتماعي، إلى خلق واقع مفرط، فقدنا فيه رؤية التميّز بين ما هو حقيقي وبين ما هو مزيف، حتى أن المسافة ضاقت بين الحلقتين، وبات من المتوقع أن يكون النقد المزدوج شكلا من أشكال المصفاة للوعي الزائف.
كلمات مفتاحية: وسائل الاتصال. الواقع المفرط . الوعي المزيف .

Abstract
The French philosopher Jean Baudrillard made a notable contribution with his analysis of the growth of communication media and the evolution of its cultural content within the social environment. He argued that this led to the creation of an excessive reality, where we lost the ability to distinguish between what is real and what is fake. The gap between the two has narrowed, and it has become expected that dual criticism will serve as a form of filter for false consciousness.
Keywords: Means of communication. The excessive reality. False consciousness.

***المؤلف المرسل حيدش سعد**

1. مقدمة

يحاول الكثير من المشتغلين بالرؤية الثقافية، توطيد مسألة الثقافة الأصلية لمرجعية بودريار Jean Baudrillard ، نظرا لتجربته العميقة وتناوله الخصوصيات المعاصرة، في هذا لقبه العديد من المتتبعين لفكره (بالجني الشرير) لاستحواذ كتابته على العروض السينمائية الهوليودية، مكنته شهرته من المقابلات والمؤتمرات التي عبرت في حجمها عن ظاهرة ما بعد الحداثة، هذه الأخيرة أصبحت محل جدل واسع بين المهتمين بهذا المفهوم ودرجة تفاعله ضمن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والمعرفية.

وعلى الرغم من الانتقادات، التي وجهها البعض حول تداول مفاهيمه، التي تعكس درجة التجاوز والقفز عن الواقع، والتي أصبحت تشكل هذه الراهنية واقعا استثنائيا، خارج الدلالة المتواضع عليها.

فمن أجل فهم حركة المجتمع والثقافة، يجمل بنا أن نلم بالمساهمة التي قدمها بودريار حول هذه المفاهيم وما أبداه من كسر للقواعد المقدسة، إضافة إلى بعض المنهجيات والنظريات و المقولات النموذجية المعاصرة، وكذا نقده لمسائل العلامة، وبعدها اللغوي والرمزي في وسائل الاتصال والإعلام، واختلافاته أيضا مع معاصره في بعض الأطروحات الحضارية، وأهم الردود على منتقديه ضمن مقارباته المتعددة .

- تعقيدات صور الاستهلاك المفرط:

يتجدد مجتمع الاستهلاك على صعيد الأزمة المتكررة والمتعددة، التي تعكس مدى هشاشة الإنتاج وتباينيه , مما يعطي مبررا لاستمرار النظام وركوب وهم إصلاح الواقع، وهذه خطوة يراها بودريار مصادرة للرأي، واستنساخ للأزمة بنماذج جديدة، وعلى الرغم من التحولات الاجتماعية والثقافية، ومصاحبة ذلك تغييرات وفق تطور الاستهلاك، الذي يعكس مرافقة وسائل الإعلام، وما مدى حاجات المجتمع، الضرورية منها والكمالية .

كل هذه الأوضاع جعلت بودريار Jean Baudrillard، يعكف على مشروعه، الذي أصبح موضع الاهتمام والجدل للعديد من الدراسات الفكرية والتأثيرات الاجتماعية، حيث تأثر بودريار بالواقعة الماركسية، التي ساهمت في بلورة حاجيات الإنسانية، معتبرا ذلك مشروعا اجتماعيا، يحد من وضعية الاغتراب والانسحاب من الحياة، وهو ما عبر عنه العديد من المفكرين والفلاسفة الغربيين، كما هو الشأن عند ماركيوزا (H.marcuse

)وهوركهايمر(M.Horkheimer)، إلى جانب الارتباط العضوي للنقاشات والتحليلات السوسيولوجية للمجتمعات عامة، ومدى تأثرها بموضة السلع ودرجة استهلاكها لها، فمن بين الدراسات و الاهتمامات ما عبر عنه ليفي شتراوس في البنية الاجتماعية، والأطروحات التوسير Louis Pierre Althusserوديريدا (Jacques Derrida)لما بعد الحادثة، فضلا عن مشكلته للنظرة العميقة لما ساهم به عالم تكنولوجيا الاتصال والإعلام، وتأثيراته التقنية على الأفراد المجتمع

تتميز تحليلات بودريار Jean Baudrillard للمجتمع الاستهلاكي، بالنظر للقيم التي تفرزها حركة المجتمع، إزاء تأثره بسلعة التقنية الموجهة، نحو زيادة الربح و الوفرة، حيث عبر ذلك (إلول) بقوة الجذب وبفعل هيمنة الفنيات، وتدعم هذا الاتجاه بتفسيرات ماكلوهانHerbert Marshall McLuhan، حول تأثير الوسيلة على قيم اتجاهات الأفراد، لما منحها مفهوما علميا، بأن الوسيلة هي الرسالة، فالكثير ينظر إلى إيجابيتها المكرسة لمفعولها الاجتماعي.

إن بودريار Jean Baudrillard من جهته رغم موقعه المتأخر في المشروع الثقافي والتقني، تبقى مستويات الحرية لدى الأفراد في اتساع، بل أكد أن هذه الوسائل تغرس اغترابا، فمفهوم الاستهلاك بصيغ العلامات والمعنى الذي تحفره في ذهنية الفرد المستهلك، وليس كما هو متعارف عليه لكثرة الإنتاج والتحكم في نظام التوزيع، اللذين أديا إلى اتساع عملية الاستهلاك، إذ يشير الإقبال على الاستهلاك إلى صورة معقدة، تتكون من جملة عناصر مركبة، ذات دلالات عميقة، جعلت من كل هذه المجالات نسقا متكاملا مقنعا، رغم اختلاف أنظمتها ودوائرها، ورغم حداثة الاستهلاك وبنية رمزيته.

هنا يعتبر الواقع انعكاسا للمحاكاة وطبيعتها الرمزية المتضمنة في المعرفة، وبرأيه أن المحاكاة ليست ظاهرة اجتماعية تتعلق بعصرها، بل هي نسيج من الميتافيزيقا(الخيال الاجتماعي)، والتي من شأنها أن تلغي المسافة بين الحقيقة والزيف، أو بين الواقع والخيال، بل المحاكاة لها أسلوبها في تدوير الواقع واكتشاف حالات التزوير والانقسام الحاصل بين الوجود ونمطه المثالي (تيم إدواردز/ 2012./ 298 (

- انهيار الواقع والاكتفاء بظله:

تشكل العمليات الاتصالية اضطرابا، تتفاهم من خلالها تغييرات عناصر متراكمة، لإنتاج مجالات الواقع تشبه هذه الحالة (فيضان النهر)، فيتوسع إلى أطراف غير مشتركة، ليخلص الأمر إلى

تزايد عملية الإنتاج الخارج عن الحاجة المعقولة، وإشارة للإفراط المتكرر، الذي شكل رصاصة النهاية، بحسب ما يصفها بودريارJean Baudrillard ، إنها تؤدي إلى هلاك المجتمع المتمشهد، ولأمر ما أكدت عملية بودريار أنها في حاجة إلى نظام جديد يراعي هذه التقلبات بمعايير قيمية تنافي صورة المحاكاة(تيم إدواردز/ 306/.2012 (

يعبر الاهتمام المتزايد من قبل بودريارJean Baudrillard ، عن وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، يشير فيه إلى امتداد انشغاله المستمر لسوسيولوجيا، وما نعرفه من إصدار لرمزية الرسائل ومرجعياتها النقدية، ولعلاقات المحاكاة كذلك، ويظهر بودريار هنا أنه يختلف مع فوكو في مقولة السلطة، ويتجه نحو الآخرين، الذين يوجهون نقدا مستمرا لكل سلطة سائدة، ويبدي كذلك مقاومته لكل نظام غير ايجابي، لا يفرض الوعي النقدي دون تشوها لفضاء التجاوز، ومتنكرا في الوقت ذاته لعلاقات السلطة المتعسفة، وبهذا الرأي، فإن بودريار له حساسية كبيرة اتجاه الصورة الرمزية يتضح ذلك، من خلال ما جاء في كتاب(اسمي فوكو)، وخاصة تطوره في النقد للإنتاج التكنولوجي والإعلام(تيم إدواردز/ 306/.2012 (

يحاول بودريار التحدث عما يحدده الواقع المفرط، الذي يفرز صورة التخمة الرمزية، مما أصبح الواقع الافتراضي أكثر واقعية من الواقع الحقيقي، وهو الوضع الذي غير العلاقة التاريخية بين الدال والمدلول، وما جعل هذه الحركة استبعاد الواقع أكثر إقناعه من الواقع الحقيقي، حيث دمرت في هذا المسافة المتواجدة بين الحقيقة والزيف، وهذا ما ألغى الواقع وبقي رمزه فقط، كشبح له القدرة في احتلال مركز الواقع الحقيقي(بوعزيزي محسن: /2010 /25.(.

يحدد بودريار مسألة موت الواقع بطريقة علمية، تدعم كل الشبهات حول انهيار الواقع وسقوط وجوده، حيث تشير (سوزان عبدالله إدريس) بأن بودريار عبر عن ذلك بفتح دائرية ظروف الحياة، وبدون إحصاء للجزئيات التي تركب الواقع، سواء كان خيرا أو شرا، مثل التزييف والخيال، الوهم والأحلام، مما تشكل مع الواقعية المنطقة، التي لا تعكس إلا جزءا يسيرا من الواقع، ولذلك تعبر عن صورة شمولية وتوسعية التركيبات المؤثرة في الحياة الواقعية، وبروح فلسفية، حيث أصبحت جملة المفاهيم صادمة ومشكلة بذلك اضطرابا فكريا عميقا في ثقافة المفهوم(سوزان عبدالله إدريس: 221/.2018.(.

فالافتراضي من عادته توسيع رؤية الوهم والعيش، في وقت خارج الصيرورة الزمنية الحقيقية، كما تبعد فيه الأطر المكانية، واختلاف الطرق والمواقف والحدود على أثره، ورغم كل هذه

الصور، فإن حقيقته لم تقتله ولم تغيره وسائل الإعلام، ولم تجعله مخالفا للواقع، بل أصبح واقعا أكثر قبولا ومصداقية.

وحتما سيشكل في ذهنية المستهلك روح الواقع الأصلي، مما يفسر بأنه لم يحدث تناقضا، ولا تعارضا في مشهد الحياة، بل أصبح هذا الفرد مدمنا على المتابعة والإصرار على هذا الواقع المفرط، الذي خلق له فضاء مميزا وسهلا، مكن له انطباعا جذريا توهميا بحقيقته وفعالية دوره في الحياة، وهو ما أكده عمل بودريار بقوله(الافتراضي ليس معارضا للواقع...فالافتراضي هو حقيقة أكثر واقعية من الواقع نفسه)(جان بودريار 76/2006 .(.

والاتجاه نفسه يظهر عالما متجاوزا للمحظورات ومتخطيا للفلسفة الأخلاقية والقيمية المجتمعية، حيث أن تكنولوجيا الاتصال عزلت الأفراد وورطت المجتمع في اضطراب متصاعد ومتأزم، وهنا يكمن الخلل (النفسي الاجتماعي) لدى الفئة العريضة من المجتمع، بأن أصبحت الارتباطات والاتصالات السيبرنية حافلة بالضجيج، أخذت الحجم الأكبر من الواقع، تعويضا عن النقص والعيوب الواقعية لدى الأفراد المستقطبين، وهو نوع من الهروب من قساوة الواقع الحقيقي، مما يتولد لديهم شعورا، بأن هذا الافتراضي هو واقعهم الحقيقي، وفي غفلة من أمرهم أنهم داخل دائرة الوهم المتجذر، نتيجة السهولة والتعويض الممتلئ .

- التفاعل الوهمي...والروح النقدية المغيبة:

يتميز بودريار بنقده لوسائل الاتصال بالابتكار المبرر، نتيجة تتبعه للأثر السيميولوجي في المجتمع، فضلا عن الفعل المتزايد للفضاءات الاستهلاكية، باعتبار أن هذه الوسائل لها خاصية إنتاج الرموز وصور المحاكاة، وتبقى نموذجية الإشارة الأفقية خاصة بالرمز، باعتبار هذا الأخير أداة للتواصل وتحصيل لطريقة التبادل والتفاعل، حيث يعرف الاتصال على أنه مساحة لتبادل الرأي، وتكوين سلسلة من العلاقات الرمزية .

وقد اعتبر بودريار أكثر غموضا في تداوله لبعض المسائل النقدية، إذ أحرج الكثير من أقرانه، وسبب إزعاجا للبعض الأخر، فالهدم للطبيعة الاجتماعية، تتمثل في مرحلة تأسيس لتنظيرات نقدية، هذه الحالة تجاوزت بأن يتم تصنيفه عالم الاجتماع، كما سبب للعديد من المؤسسات الأكاديمية قلقا متزايدا، نتيجة تصريحاته الإعلامية، مما حدا ببعضهم إحاطة الأمر بشكوك عن طبيعة فكره وثقافته، نظرا لتناقضاته وأسلوب شخصيته المترددة والعنيفة أحيانا ...

ولد بمدينة (الرايمز) بفرنسا تزامنا مع حادثة الأزمة الاقتصادية العالمية، التي انهارت على إثرها التحولات المالية، ونتيجة لإسهاماته الأدبية في صحيفة (سارتر) التي تهتم بالفلسفة الوجودية، فإن توجهاته السياسية اليسارية المعارضة للحرب الجزائرية* ، أدت إلى تعلقه بالحرية التي شكلت لديه صورة حول نظام الخطاب المستقل، وكيفية بناء سبل الحوار إزاء المنهج الماركسي (كريس هوروكس و زوزانجيفتك : 2005 / 7-11.).

فكل هذه العناصر المرتبطة تشكل في نظام حركي، حدد تتابعها السيميولوجي (امبرتو ايكو) نظرا لهذه العلاقات الموجودة في النسيج الاجتماعي، إذ تعتبر الإشارات تعويضا عما يعجز عن الكلام(بوعزيزي محسن: /2010 /19.).

يتعرض ماكلوهان Herbert Marshall McLuhan لأثر الوسائط التي تعمل على التوجهات الاجتماعية، نظرا لقوة الصورة وانعكاسها واقعيا، والتي تحمل واقعا معيشيا، ممثلا لسمات الواقع نفسه، إلا أن بودريار يذهب خلافا لأطروحة ماكلوهان، إذ يحدد ذلك بأن العلامات، هي التي تحوينا وتغطينا، بأثرها عكس ما يشكله الواقع من حرمان لذواتنا، مقابل ذلك ثقافة رمزية خارقة صناعيا، تغرينا لصالح أحداث زائفة، تلغي الواقع الحقيقي بغية بروز واقع أخر، يحاكي الحقائق، وله قوة مادية وتقنية، نتيجة تكثيف الخبرة والنماذج لواقع مفرط(تيم إدواردز/ 2012/.302.)

يستخدم ماكلوهان رؤية خاصة وبنفس عميق، فيها تكثيف لحجم الوسائط التكنولوجية، باعتبار أن استخدام الوسائل يحدث شيء من تقارب العالم، وتلاشي الحدود الجغرافية، وتلامس عاطفي بين الشعوب، وانحصار زمني، في حين يرى بودريار أن المسألة تخص الوسائط الاتصالية التي تعرف بامتدادها لحواسنا، بالمقابل أن الرموز لها القدرة على إنتاج واقع مماثل، لواقع أصلي، وترتيب دلالته، إذ أن التحام الاصطناعي للصور مع عرض الواقعية وبتوفر عامل الزمني الجغرافي، يتشكل لنا انفجار لواقع مفرط يصبح أكثر غموضا.

ويحدث أن تتلاشى تمفصلاته الحقيقية، مما يؤدي إلى اختفاء الواقع وإحلال محله واقعيا مزيفا مخادعا، وهو ما يمكن قول أن رسائل الإعلام و الاتصال، وضعت سطوتها على جميع مناهل الوجود الاجتماعي، فبات من غير الممكن الفصل بين أطر الأصول الحقيقية، وبين ما هو اصطناعي.

يواجه بودريار مرة أخرى موجة انتقاد عارمة، نتيجة موقفه المتصلب، نحو نفي حقيقة مفهوم المجتمع، مؤكدا أنه يشخص هذه الرؤية الاجتماعية في الإشارات المركبة، التي تحيط بنا في زمن المجتمعات الحديثة أو مجتمعات ما بعد الصناعي(ريشاردإدواردز . بورن فان لون. 2005 / 138 .)، إذ يمكن التأثير من قبل الوسائط نتيجة التركيز على الصورة ومعالجتها تقنيا، والتي لها القدرة على توجيهنا عقائديا وسلوكيا، وكذا تفكيك أفكارنا بغية تضليل العقول وتشويه الحقائق .

وهذا التدمير ما سماه (باولو فيريري) بأداة القهر((حيث يتشكل أسلوبا قمعيا بالنسبة للذين يديرون الأجهزة على الجماهير، والسعي لتغير مواقفها، في حين يتأكدون من التأثير على الطبع الحركي، و تعطيل الحوافز المؤدية للوعي، وإضافة صيغة التضليل، على الشروط المطلوبة، إذ تنتفي عبارة الاحتجاج الجماهيري وتسقط حقائق ومبادئ الوجود الاجتماعي)(هربرت أ .شيللر. 1999) /23.(.

وفيما يتم النظر إلى السوق المحورية الاقتصادية بشروطها، نحو ضبط ملكية المجتمع، وتساؤلات رئيسة الوزراء الانجليز سابقا ما رقيرت تتشر عن ماهية المجتمع، وعن وجوده واختصرت حديثها، أن هناك وجود أفراد من النساء والرجال تتشكل من خلالهم عائلات، , يقومون بكل شيء بأنفسهم، دون دوافع قهرية، لكن هذه الحالة لا تستقر وجهتها، بل هناك من يرى أن الأمر يدفع إلى انتظام جماعي وسلطة غير مرئية، وهذا الطرح عكس روحه على الواقع، مما جعل الفردانية مذهبا خياليا وصورة وهمية لا أساس لها وجوديا(ريشاردإدواردز. بورن فان لون. 2005 /16.(.

في هذه الحالة يعتبر بودريار Jean Baudrillard أن الواقع بمثابة الزئبقي، الذي لا يستطيع الإمساك به ,إذ أنه كلما كانت ملاحقة الواقع على نحو أوثق، زاد غيابه وغموضه عن العالم وهو ما يفسر أن البحث عن الواقع بواسطة التكنولوجيا الحديثة، جعل منها تكملة للمحاكاة المتردية و الزائفة.

- تخمة المعلومات ... أدت إلى اختناق المعنى:

وبرأي أخر لا يتردد سعيد بنكراد في (سيمائية الصورة الاشهارية) أن المنتوج ليس كيانا ماديا مفصولا عن العالم الإنساني، فإن المعنى لا يوجد في الواقع، ولا يسكن الكائنات و الأشياء، إن المعنى في عين الرأي، هي التي تخلص من نفعيته ووظيفته لتحوله إلى حلم وجمال ورؤى سحرية. فالإصرار على التشبث بكل معطيات الحياة، وبكل صفوف مدخلاتها، أدى إلى تشكيل رد فعل معاكس الاتجاه، ويتعارض مع هذه المزايا المدعمة للوجود، فكان لزاما بتراجع فعلى بطلب هذه المكونات ونفي وجودها و بأهميتها، مما ينتفي الحضور الواقعي، وينتج صورة مضادة بموت الواقع، فيصور معطى جدلي بمقام النشاط الصراعي، وأخر منافي له ساقط من الوجود، ينتظر نهاية الهلاك و الموت الأبدي.

وترجع فلسفة هذا الموت البودرياري إلى جدل بين الحياة التي تصر على الوجود بكل مستلزماته وتناقضاته، وبين واقع حياة أخرى، تعمل على صد كل ما هو موجود، وتقويض كل إنتاج الواقع بكل جزئياته، فالمركب الجديد يكتمل نسيجه نتيجة الصراع التاريخي(أوعبيشة علي: 2018.09.12).

اتسم هذا العصر بتخمة المعلومات وأبجدياتها، في حين يتم الحجر على المعنى، إذ يقول بودريار في هذا الصدد " أننا نعيش في عالم مليء بالمعلومات... والقليل من المعنى " وهذا ما عمق في تدفق الصور والنصوص وحجز الدلالة.

ونتيجة لهذا التوسع وتعدد في الرمزية، جعل بالمقابل الإفراط في إنتاج توجهات المعنى واختلاف مضامينه، حيث يطغى بشكل كبير العنف الرمزي، الذي يحصل عادة إبان التفاعل الوسائطي، وما ينطوي عليه من أدوات غير الشرعية، فضلا عن نتائجه، التي باعتبار أن الوسائل الإعلامية لا تصنع العالمية للأفراد، بل هي من تدعم إنتاجهم بتعبير بودريار.

وفي قيمة الصورة وما تخزنه من إرث تقديري، ونمطية الماضي، فقول دوبري أن الصورة لها صلابة في مسك الماضي، وتقييد التراث وظيفتها مقاومة الموت والتلاشي، وتعيد ترميم انكسارات الماضي، وتجبر الخطاب القديم الجديد، وتقوم باستدعاء الإرث وقهر الحطام والاضمحلال، كما لها طبيعة التحدي من أجل الصمود والبقاء، وإمكانية الحضور عقب كل غياب(عبد العالي معزوز: 2014 / 145)

بهذه الصورة تتعاضد الأفكار والرؤى، بين ماكلوهان Herbert Marshall McLuhan وبودريار Jean Baudrillard حول مفهوم الاتصال الساخن والاتصال البارد، حيث تمتنع

المشاركة في الاتصال البارد، لانعدام التغذية الراجعة المصونة عبر وسائل الإعلام إلى فرضية أنها لا تنتج رمزية عالية ناضجة إزاء التفاعلات الاجتماعية، وهذا ما يحتاج الأمر إلى تأويل وبذل جهد إضافي من قبل المتلقي لإكمال المشهد، بخلاف المفهوم الأول للاتصال الساخن الذي يرمي بربط العلاقة وإكمال حلقة الاتصال(تيم إدواردز/ 2012/.305.(

هذا الوصف تصبح وسائل الإعلام و الاتصال مصدرا، لتحقيق واقع جديد، رغم أنها معطى للمصطنع الذي يزيف الحقائق ويتلاشى المعنى ضمنها، إن الإفراط في الأخلاق النبيلة و العطاءات الحميدة قد تنعكس بلاغتها في تدمير المعنى وتشويه الواقع الحقيقي، الشيء الذي يبرز أنها لا تحترم العطاء العلمي و التكنولوجي، فالحقيقة تبقى غائبة، إذ أن الصورة هي ثقافة وما تنتجه من عناصر تساهم في تكوين رصد المجتمع وتطلعاته الفكرية و الاقتصادية...

يوضح ذلك عبدالله الغذامي بتعبيره، أنه يثبت أن الصورة لا تقاومها إلا صورة، التي تملك الدرجة نفسها من القوى و التعبير و التمثيل، وإمكانية التحقق ومصداقيته، مضيفا أن الصورة حقيقة هي ثقافة وفكر وإنتاج اقتصادي وتكنولوجي، وليست مجرد مشهد كمتعة فنية، وهي بذلك أي الصورة تعكس لغة العصر التكنولوجي، نظرا لأن الصورة هي علامة اتصالية (تكنولوجية)، ومؤشر إنتاجي ومنطق مستقبلي.(عبدالله الغذامي. 2005./ 216.(.

ورغم معارضة جيله لرؤيته ينفتح بودريار، على كل هذه التحليلات الواقعية والإعلامية المفرطة أحيانا، بهذا أمكن التعرف على حالات رمزية، لم تكن معروفة مدى أثرها الاجتماعي، وعلى مدى كذلك الثقافة الجماهيرية .

يطرح بودريار جملة من الضروب الرمزية، التي اكتشفها عبر آليات متعددة خارج مجتمعه، إذ عبر من خلال ذلك أن المجتمعات الهامشية، سلطت عليها أنواع القهر والتهميش، ما نتج عن تدمير العديد من المعاني الإرثية و العلاقات التي دفنت، وأبيدت في مهدها، نظرا لبروز عنصر الاختلاف المميع و التوازن المزيف بين المجتمعات الغيرية(تيم إدواردز/ 2012/.307.(

هذا الاختلاف و الانفرادية التي يتميز بها بودريار عن أقرانه، جعل الأستاذ (مايك جين مدلي) يدلي بقوله بأن بودريار مثل الرمال المتحركة، لا يستقر أمره حتى يكتشف علاقة جديدة في نسقه الثقافي، ولم يفهم الكثير كيف يحدد زاوية طرفه، مما صعبت مهمة منتقديه القبض على بنية نصوصه.

وعلى شاكلة سخرية معارضه الفجة، التي تردد صداها، دون أن يحققوا هدفهم، وهو الأمر ذاته الذي جعلهم يقرون باستغلال نماذجه، حيث يشبهونه بالحالة الزئبقية، التي ترتبط أفكاره بكل الاحتمالات والتحليلات النقدية .

وإشارة لكل ذلك، فإن كل الاعترافات الصادقة، من قبل أعماله الفلسفية والسوسيولوجية والإعلامية قد حققت مبتغاها، إنتاجا وشرعية(تيم إدواردز/ 312/.2012)... فأعمال بودريار كانت بمثابة رافدا للثقافة العالمية، كعلامات للاستهلاك، بما فيها مقاربته الرمزية وتجربته النقدية الإعلامية والاقتصادية والسياسية، فضلا عن الإنتاج وتفضيله لعالم الافتراضي، والمحاكاة والهلاك الواقعي المصاحب لمشروعاته الحداثية.

تعرض بودريار إلى نقد شديد اللهجة، نظرا لمواجهة التحايل خارج توجهات الإيديولوجية، رغم صرامته الفكرية الماركسية، كما شكلت تحولات قراءته للحرب الإعلامية الأفغانية العراقية درجة من الوعي تفرد بها وكشف حقيقة الإعلام الحربي، وزيف تركيباته(تيم إدواردز/ 313/.2012).

وتظهر حقيقة هذا الزيف في حادثة البرجين، اللذين يعتبرهما تمشهد خبري، بحكم أن النقل المباشر ظل يعكس الكارثة دون حيثياتها الحقيقية، فالفعل الرمزي، كان صافيا وهو الأكثر اعتبارا نظرا ما للصورة و التغطيات المباشرة المختلفة، ساعة الحدث والعارية من الحقيقة، ففيها تضليل لمشهد الواقعة، فالصورة المتسامية عبر فجوة المشهد هي تكريس لخطاب محايث للآخر، وبالأسلوب الجاهز المنمط الذي يظهر أنه ضد الوجه المتسامح (اللبيريالي.(

- خطاب الكراهية... والإفرازات الإيديولوجية:

تستعيد الأستاذة سوزان عبد الله إدريس في سياق حديثها عن العنف وفي مضمار التاريخ، تذكر أن بودريار عالج هذا المفهوم ضمن السياق الحضاري، حيث شكل اهتمامه لما تطرحه القضايا الإنسانية من مشاكل، والتي عكستها التعددية في الثقافات والاقتصاديات، وجاء نقد بودريار لهذه الملامح المسكونة، في بنية الصراع الحضاري المعاصر، خاصة المجتمعات التنويرية لما بعد الحداثة، وما أفرزته الإيديوجيات والتأثيرات المتلاحقة جراء الوسائل التكنولوجية الحديثة، مشيرة أن توسع فجوة العنف وما يصاحبه، من أثار جانبية على الثقافة المجتمعية، فيما تؤكد أيضا أن أي نظام يسعى إلى الاستبداد واستخدام العنف، فإنه سيولد عنفا مضادا، تؤثر هذه الجدلية على القيم الاجتماعية وثقافة الأفراد، فضلا عما تخلفه الأزمات في هذا الشأن، لذلك

أصر بودريار على رفضه للعنف، وكل ما ينتج عنه من تحولات في السلوكيات الأخلاقية(سوزان عبدالله إدريس: 33/.2018. .(.

من جهته أشار بيار بورديو إلى صورة العنف الرمزي، إذ جعل من أي فعل تربوي عنفا رمزيا، يشكل عائقا أمام اندماج الأفكار، على حساب حفظ النظام المدرسي، فالتجاهل للمتعلم الذي يفتقد للرأسمال الثقافي أثناء النشاط البيداغوجي، يعد عنفا خفيا، ذلك بوصفه، أي العنف حسب تعبيره فرضا من قبل جهة متعسفة(بيار بورديو.1994/.35.(

فرضية أخرى لحاولة التواصل مع أخر التطلعات الإنتاجية، تجعل من المرء علاقته وطيدة، بالصورة الاستهلاكية المحيطة بالتلون والتغيرات المتعددة و السريعة الإفراج، إذ يكون بذلك حسب بودريار، بأن مواكبة هذه الإنتاجات، يصبح الفرد مندمجا علائقيا مع المجتمع الاستهلاكي، والحقيقة التي أعتاد عليها أفراد المجتمع، وأن تحصيل المواد الأساسية، هي أبرز شيء في حياتهم، إلا أن التسابق نحو الاستثمار في المواد، التي تعرف الزيادة عن الحاجة الضرورية أو الكمالية، تقتضي رهان العصر وتجبر البعض على تتبع الشكل دون المضمون، والتشهير للعلاقات التسويقية، دون علمه بالعمق الثقافي لمنطق التجاري، وهو المراهنة على ترهل الحياة والتوقف عند السطح دون الغوص في الجوهري والقيمي.

وبتوسع دائرة الاستهلاك، يوضح بودريار أن الدال أصبح موقوف بنفسه، نظرا لتعدد المعنى للمدلول، وتحول قيم الفضاء الاستهلاكي، مما جعل السلوكيات تتغير ضمن معترك الحياة، والتي تعرف بمدخلات جديدة و مخرجات قديمة، تصب في القيم الفردية والاجتماعية، وهو الشيء الذي أدى إلى سرعة في التحولات في المعنى و الذوق نتيجة الاستعراضات والتنافس بين المكانة والطبقية داخل الحيز الاجتماعي، وقد جعلت هذه الحركة الانعزال و التمايز المفرط، رغم أن هذا الاستهلاك يسعى إلى الروابط الاجتماعية والثقافية، إذ يذكر بودريار أن هذا الفعل يؤدي إلى تباطؤ عملية التضامن و الاحتواء مما يخلق انحلالا للروابط الجماعية- (بودريارجان , 1995 / 101.102.(

الخاتمة:

يصر بودريار بأن الإعلام الذي أصبح المصدر الوحيد للمعلومات، خاصة الإعلام الحربي الذي يتعذر عن أي أحد اختراق الهلاك وقنص الحقيقة، تلكم إشارة بأن هذا النوع من الإعلام، يتفنن

في فبركة المعلومة واختلاق الصور، التي تخدم مصالح مستخدميها، لذلك تبقى الأقنية الزاوية المتفردة بهذه الرؤية .

حقيقة ما يجعل المشاهد محصورا، في رأي هذا الاتجاه دون غيره، ما تم تشرب تلك العمليات الاستهلاكية المزيفة الواسعة عبر تسلسل زمني مترتب، وبأجندة مصطنعة فصارت كل هذه الترتيبات عبارة عن حقائق وعقائد ممتلئة بالأوهام، إذ ذكر بودريار هذا الفعل الإعلامي بالنشاط المضلل للحقيقة بقوله (... بكل هدوء لم يعد الخبر ولا الصورة يشد مصير مبدأ الحقيقة و الواقع الصادق.(

واعتبارا من ذلك، فإن ضبط الحقيقة يظل واقعا متقلبا، يعجز الإنسان أن يذكر ظلالها وهيمنتها على الوعي، فالواقعية (الافتراضية) أخفت الحقيقة، ومن غير الممكن معرفة دلالة النسخة المصطنعة بهذا يغيب مسار الواقع، بعد هيمنة صورة الزيف والخداع، ويشكل هذا الطرح اضطرابا في تحديد بوصلة التوقعات، أو وضع الأحداث في سياقها التاريخي، وتبقى الحقيقة مختفية بين مسامات الواقعة عقب سقوط جدار الاختلاف، واختفاء الحلقة الواقعة بين المصطنع والواقع، وتفسخ الفلسفات المتباينة للأعراف التقليدية، وتلاشى المسافة التي تفصل بين الخيال و الحقيقة، وهو معطى لموت الواقع، وهو ما دمر خلاله التنبؤات، وأصبحت هناك محطات فوضوية، لا تعكس سنن التدرج، وتنفي خلاصة اليقينيات...

المراجـــع:

-أوعبيشة علي:بحث حول مفهوم الواقع بين ستيفن هوكينغ وجان بودريار..2018.09.12 llanfasse-orgl: http

-بودريارجان , ت خليل أحمد خليل . المجتمع الاستهلاكي .. دارالفكرط1 1995 .ص 101.102 - بيروت.

-بوعزيزي محسن: السيميولوجيا الاجتماعية. مركز دراسات الوحدة العربية ط1 2010/ .ص25.بيروت .

-بيار بورديو . ت نظير جاهل .العنف الرمزي.(بحث في أصول علم الاجتماع التربوي).المركز الثقافي العربي .ط1994. بيروت.

-تيم إدواردز .ت محمد أحمد عبد الله. النظرية الثقافية (وجهات نظر الكلاسيكية معاصرة).المركز القومي للترجمة.ط1 2012.ص 298 القاهرة.

-جان بودريار : الفكر الجذري .ت: منير الحجوجي وأحمد القصوار. دار النشر توقبال ط2006.ص76.المغرب.

-ريشاردإدواردز . بورن فان لون. ت حمدي الجابري أقدم لك علم الاجتماع . المجلس الأعلى للثقافة ط1 2005 .ص 138 .القاهرة .

-سوزان عبدالله إدريس:لا أخلاقية العنف عند جان بودريار(عنف التكنولوجيا.عنفالإعلام.الواقع المفترض).منشورات الاختلاف ط2018.ص221.بيروت.

-عبد العالي معزوز: فلسفة الصورة .دارالنشر(افريقياالشرق) ط1 2014 ص 145 . المغرب.

-عبدالله الغذامي. الثقافة التليفزيونية. المركز الثقافي العربي.الدار البيضاء ط22005.ص 216.المغرب.

-كريس هوروكس و زوزانجيفتك :. ت حمدي الجابري . أقدم لك جان بودريار. م.أ.ث ط1 2005 – ص 7-11 .القاهرة.

-هربرت أ .شيللر. ت عبد السلام رضوان. المتلاعبون بالعقول عالم المعرفة (مارس 1999) ص 5 الكويت.